أَلمضَامينُ النَّفسِيَّةُ في سُورةِ طه

د. هاشم حسين ناصر المحنك

مركز دراسات الكوفة- جامعة الكوفة

فحوى البحث

بحث قراني –سيكولوجي يعرض لسورة كريمة من سِوَرِهِ بتجريد الجوانب النفسية فيها و التي جسدت في سلوك النبي موسى(عليه السلام) و قد نجح السيد الباحث في ذلك ووصل الى نتائج مهمة، ربما يكون ابرزها:

١. توضيح سورة (طه) الكريمة الجوانب الاستراتيجية المتمثلة في البيئة الداخلية و ما فيها من قوة الايمان، و البيئة الخارجية وما فيها من فرص في طاعة الله–تعالى–.
٢. وضوح وقع الشقاء من عدمه على النفس و الشخصية.
٣. للذاكرة حضورها و تجلياتها في شخصية من يخشى.
٤. ان معرفة وحدانية الخالق، يعني التوجه نحو وحدانية الاداء تجاه الخالق–جل و علا –.
٥. أهمية بناء الثقة بالنفس، ولاسيما الشخصية القيادية.
٦. اهمية الاستقرار النفسي لزرع الثقة بالنفس و الإقدام على الصعاب و قد تضمن البحث مخططات توضيحية عزفنا عن نشرها بسبب طول البحث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

يزخر القرآن الكريم، بأشكال الأبعاد النفسية؛ الوقائية والعلاجية، وما يبني مقومات الشخصية بقوتها والثقة بالنفس وحزمها وبمحتوى الملكات العقلية وما يكتسب من معلومات عن طريق التعلم والتربية والتعليم، ليكون لاتخاذ القرار منحاه الاستقلالي على وفق ما يتطلبه الموقف، وهو ما يدخل ضمن علم النفس، وامتداداته ومنه؛ علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التنظيمي وعلم النفس التربوي..

لذا لا ينكر المتخصص في علم النفس والمتطلِّع والمكتسب الثقافة في هذا المجال، أنّ القرآن الكريم له مضامينه وأبعاده وما ورد فيه من حقائق في المجالات النفسية، وكل مقومات البناء النفسي، وكلٌّ ضمن موقعه وما يتحمله من مسؤولية، بحسب الجعل التكويني والجعل التشريعي..

بمعنى آخر؛ ما يكون عليه خلق الإنسان (الجعل التكويني)، لابدّ أن يتوافق معه (الجعل التشريعي)، وما يكلّف به يكون على وفق تلك الإمكانيات والقدرات والاستعدادات... و ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الآية (٢٨٦) سورة البقرة..

ولا يقف عند هذا الحد، بل يتعداه لبناء رؤى استراتيجية ورسالة وأهداف وغايات، وبالتنفيذ المتفوق على الصعاب والتحديات بالاستعدادات النفسية والثقة بالنفس على وفق ما يتم وما متوافر من قوى فطرية ومكتسبة، واستيعابا للبيئة الداخلية والخارجية، ليوازي بين ما يُمتلك ويُعزز من قوة وما تسنح من فرص، بالتوازي مع احتواء الضعف وعلاجاته بما يذلل أو يتم تجنّب الصعاب والتحديات والتهديدات..

وبطبيعة الحال فالشخص الحقيقي والشخص المعنوي، والشخص المنتخب من الخالق، يتجسد بما أودع الله فيه وما يمتلكه من مقومات الاستعدادات للقيادة بصفة حمل الرسالة السماوية أو قيادة أمة أو اكتسابهما معاً، ومفعول الرغبة لأداء ما مكلف بها، وما يتحمله من مسؤولية عظيمة أمام الخالق عز وجل وأمام النفس

اللوّامة ومقوماتها، التي تتوسط بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء..

من هنا كانت الدراسة المقتضبة للأبعاد النفسية في القرآن الكريم، واختيار (سورة طه) أنموذجا، لبناء الإنسان وما يحيطه بحسب ما تقتضيه المرحلة والمواقف، وما تتطلبه من استعدادات ورغبات ودوافع..

التمهيد..

يكشف القرآن الكريم عن العمق النفسي لوصف ومواصفات البناء الاستراتيجي للإنسان وشخصيته، يبدأ من ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ٨٩]، وقد امتدّ في هذه الآية الكريمة التنزيل والبيان ليكون هدى ورحمة وبشرى، منه تنبع الثقة والطمأنينة النفسية بالتعلم والتعليم ورفعة التربية وعمق الأخلاق المتشبِّع بالرحمة التي تضم الهدى والبشرى، بجانبيها التكويني والتشريعي المتكامل بخططه ومنه ما يتعلق بقراراته وتنفيذه وأداءه ونتائجه وانعكاساته المستقبلية..

ولذا ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٩]، لكون الأقوم لا يأتي إلاّ بالبناء التربوي والفكري السليم والنقي بمعلوماته، ومنه تكون النتيجة البشرى المحققة لمعرفة الاتجاه ثم الثقة والاستقرار النفسي، و ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة: ١٦]..

ونرى في كل حلقة ومرحلة يدخل الجانب النفسي الراسخ، وحراكه يدخل ضمن جوانب متعددة، منها ما يتعلق بالحوافز والدافع واستجابة الإنسان، والاتجاه نحو تحقيق حقوقه المنظورة وغير المنظورة، وما يقابله في السعي لتأدية واجباته بكفاءة الأداء والنتائج..

وما أدق ما زخر به (نهج البلاغة) لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من وصف مكنون القرآن الكريم؛ (وَإِنَّ القُرآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لا تَفْنَى

عَجَائِبُهُ، وَلا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ، وَلا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إلاَّ بِه)[1]..

لذا يحث الإمام علي عليه السلام تدبّر القرآن وديمومته قراءته: (وَتَعَلَّمُوا القُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ القُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ، وَأَحْسِنُوا تِلاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ القَصَصِ. وَإِنَّ العَالِمَ العَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالجَاهِلِ الحَائِرِ الَّذِي لا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ؛ بَلِ الحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ)[2].

وتتبين مدى أهمية المستوى الإدراكي، والمدارك الحسية، وكيف يعول الحكم البلاغي على حاسة السمع في تحديد الحسن والقبيح، وبيانه السمعي. وجمالية اللفظ، يعود للجانب النفسي والمدارك الصوتية والفصاحة، وما تحمله من صور سمعية تحمل فيها الآثار الانفعالية[3]...

والحس والدلالة وتشخيص المعاني؛ العملية الداخلة عن طريق النفس والصوت والتخيل ووضع الصورة بجماليتها التعبيرية وتماسك النص ومدى ومستوى الفهم ووقعها في النفس، لتأخذ مجراها الفني التفاعلي على مد الزماني –المكاني، بشخصية اللغة والكيان المؤثر، وسمات السلوك الفعلي، كما هو عليه (العَالِم العَامِل بِغَيْرِ عِلْمِه)..[4].

المبحث الأول

الاستعداد النفسي وبناء الشخصية

تبدأ (سورة طه) المباركة، ببناء وتوجيه الشخصية بالتقويم الدافع نحو برنامج مخطط له على وفق استراتيجية واضحة، ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾..

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام/ نهج البلاغة/ ضبط نصّه صبحي الصالح/ ط١/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ لبنان/ ١٩٦٧/ ص٦١.

(٢) المصدر نفسه/ ص١٦٤.

(٣) راجع على سبيل المثال: د. مجيد عبد الحميد ناجي/ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ ط١/ ١٩٨٤.

- د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ الطبعة الثانية/ دار أنباء للطباعة والنشر/ النجف الأشرف/ العراق.
- عبد القاهر الجرجاني/ أسرار البلاغة/ تحقيق هـ. رتير/ دار المسيرة/ بيروت/ لبنان/ ط٣/ ١٩٨٣.

(٤) ينظر: نفس المراجع..

ووضوح أبعاد الشقاء من عدمه في الجانب النفسي والحد منه، ويتحدد مستوى الاندفاع والاستمرار في الأداء بمحدد المستوى النفسي والقدرة والرغبة والإرادة والتصميم، ومنه تُبنى الشخصية المطابقة لمتطلبات التوصيف والوصف والمواصفات والأداء وتحمل المسؤولية وثقلها وآفاقها..

لذا فوضوح توجيه الخالق عز وجل لرسوله الكريمﷺ، للتخفيف من الضغوط الجسدية والنفسية في الأداء، ومنه ما يعني مدى الرحمة الإلهية في تشريعاته العبادية، والتوازن بين ما تتحمله النفس وعبء العمل والأداء العبادي، ومدى أهمية الحاجة للراحة النفسية في الأداء، ومدى أهمية الاهتمام بما يمكن أن تتحمله النفس البشرية، وهو درس ورسالة للمسلم في كيفية الاهتمام بمواطن قوة العمل بالتوازن مع قابلية النفس وراحتها في دعم الأداء العبادي واستدامته على أكمل وجه[٥]..

وامتداد الآية الكريمة ببُعدها أو مضمونها النفسي؛ ﴿إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾، و (الخشية)، ربما تجمع بين مستوى الثقافة وتأثيرها وتوجيهها للنفس والسلوك والعمل، ومن الجانب اللغوي فان (من يخشى) يمثل الخوف الطبيعي من الوقع بالمحذور..[٦]

وهذا الوصف لمتطلبات العبادة التي تُبنى على؛ ﴿تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى﴾، من؛ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ المنبثق من المالك الواحد الأحد للنفس والمخلوقات؛ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾..

فاقترن الخلق وامتلاك وقيام الحكم بالرحمة الإلهية، يعني ما مطلوب استراتيجياً،

(٥) راجع مثلًا: -د. عبد المنعم الحفني/ موسوعة علم النفس والتحليل النفسي/ ج٢/ دار العودة/ بيروت/ لبنان/ ١٩٧٨/ ص٩.
- د. أحمد عزّت راجح/ أُصول علم النفس/ دار القلم/ بيروت/ لبنان.
- د. أسعد رزوق/ موسوعة علم النفس/ مطابع الشروق/ بيروت/ لبنان/ ١٩٧٧.
- د. بدر الدين عامود/ علم النفس في القرن العشرين/ ج١/ من منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق -سوريا/ ٢٠٠١.

(٦) راجع: ابن منظور/ لسان العرب/ ط٣/ دار صادر -دار الفكر/ بيروت/ لبنان/ ١٩٩٤/ مادة (خشي)؛ خشي.

هو وحدانية المعبود، وما يوجب على المخلوق العاقل الاستعداد النفسي والأداء والانتباه، والرقابة التقييمية والتقويمية للسلوك والأداء، والحد مما يقترفه، يعني سيطرة النفس المطمئنة على أدائها، والعودة للإصلاح والصلاح والاستغفار ونفع النفس والناس وكل ما يحيط به، بما فيه حماية البيئة من تلوثها، وتشويه وتدمير نفسية المخلوق..

إن علم النفس يعتني بدراسة الجزء الداخلي للمخلوق، ويعالج الأمور على هذا الأساس، لحماية النفس وحاملها، والحيلولة بالوعي والثقافة دون الوقوع في دائرة الأمراض النفسية والعقلية[٧]..

وهذا جانب يسير من معالجات الخالق جل جلاله وعنايته الكريمة، وبتوجيه الإنسان العاقل بهذا الاتجاه، وحينما يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾. مما يشمله هو إصلاح النفس والشخصية من الدواخل، وبالمضمون وتكامله مع الشكل، بالظاهر والباطن، للاتجاه بأرضية صلبة نحو بلوغ الغاية من الخلق وما تتطلبه من العلاقات الإنسانية والأخلاقية، بين الذات والآخرين وانعكاساتها النفسية على الفرد والجماعة، وبه يتجه نحو الغاية العظمى؛ رضى الله، وما استقرار النفس الفردي والجمعي والمجتمعي، إلاّ مؤدى لاستقرار الحياة بكل تفاصيلها، بما فيها الاستقرار النفسي والطمأنينة..

ومعرفة وحدانية الخالق عز وجل، يعني التوجه بوحدانية مَنْ لا شريك له، ثم وحدانية التوجُّه في الأداء اتجاه الخالق جل جلاله، بما فيه الاستجابة النفسية وكفايتها في الأداء وعمل الخير وقويم الخلق المستدام، ووحدة الرقابة التقويمية، كاشارة لسوي النفس واستقامة النشاط العقلي، وما يقابله وينتج وينسجم معه، ألا وهو الجزاء بالمكافأة المناسبة، ويعني التوجه بنفسٍ واحدة موحدة دون ازدواجية أو تعدد الشخصية، ومخاطره على النفس والسلوك وما يحيط بها[٨]..

(٧) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ المرجع نفسه/ ص١٠ -١٤.

(٨) يُنظر: د. عبد المنعم الحفني/ المرجع نفسه/ ص١٧٦ -وما بعدها.

وأدق ما يقع في النفس مما يؤدي إلى استقرارها، حينما يكمِّل وحدة الخالق والتوجّه، المنبثق من التكامل المطلق للخالق العظيم، وآثار قدرته منها المتمثلة بخلقه، ووحدة الاتجاه النفسي المبني على الإيمان بحقيقة؛ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾..

ولتاريخ وآثار الناس ولاسيما المتقدم منهم في مختلف المجالات كالتربوية والاجتماعية والسياسية والإدارية، أو متمثل بحمل الرسالة السماوية، ما يتطلبه من تأهيل للشخصية؛ فكرياً وعقائدياً ونفسياً وسلوكيا، ليتعامل مع الموقف والحدث بأرقى ما يُعالجها نفسياً وإنسانياً ونفعياً.

والأعظم حينما يكون هذا العلاج ممتداً إلى ما بعد الدنيا، وصورة منه ما يضعها الخالق سبحانه وتعالى أمام رسوله ﷺ وأمام الناس؛ ﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾.

وما تحديد الشخصية، إلاّ معرفة وإدارة تلك المعرفة؛ إنسانياً وأخلاقياً، بالاتجاه المناسب بظروفها المختلفة ومستوى بناء الإنسان، ووضعها على أساس البناء العام، بأبعاده النفسية..

ومنه ما يظهر عند الحاجات والاستعدادات والقدرات والبناء والنتائج والمعلومات المرتدة، هكذا تبدأ حلقات الاتجاه والصياغة والتنفيذ؛ ما قبل الشخصية والاستعداد، ومرحلة تكوين الشخصية وبلورتها وبرمجة قدراتها أو العمل على وضع الخطط الممكن تنفيذها البنائي التنموي والتطويري، وما يدعم مستقبل الشخصية الحقيقية والمعنوية من معلومات مرتدة عن ما حدث ونتج في مختلف المراحل حتى الإنجاز أو تنفيذ ما مخطط له[٩]...

(٩) راجع مثلا: د. قيس النوري/ الحضارة والشخصية/ دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل/ الموصل-العراق/ ١٩٨١.

- هربرت بنسن/ العقل والجسم/ ترجمة: محمد جابر علي/ دار الحرية للطباعة/ بغداد-العراق/ ١٩٨٩.
- Luthans، Fred، «Organizational Behavior» 3ed، McGraw -Hill Inc.، Tokyo Japan.
- Schultz، D. A. «History Of Psychology» Academic Press، New York، 1975.

والآية المباركة؛ ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾..

وهنا مما يظهر؛ الحاجة والتوجُّه والمنبه والاستجابة والدافع والباعث.. إلخ، وهو من بين ما اختزل الشخصية، والتحول لمتطلبات الحاجات الأساسية، وقد تتعدى إلى مسألة الهدى التي تشمل الكثير؛ المادي وغير المادي والنفسي، وما يُستحدث من حراك ودلالات ومعاني[١٠]...

وسنتطرق في المباحث القادمة إلى جانب آخر مما تتضمنه الآية الكريمة وما سيلحقها من الآيات المباركات..

وباستعداداته النفسية والاستجابة والوصول إلى الهدف المنشود، بدأ الشروع في بناء وبلورة الشخصية، للمهام الإلهية التكليفية -التشريفية الموكلة به عليه السلام وانسيابية بناء الشخصية:

١- ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾، وهنا يبرز جانب الاختيار الإلهي، وانتخاب الشخص لمهام الرسالة السماوية..

٢- ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾، ومما يتبين التوجه العقائدي لمعرفة الواحد الأحد الذي انتخب شخصية موسى عليه السلام، والواجبات الحتمية المنطلقة من تعلمها الذاتي الفردي..

٣- ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾، وعندها بدأ التحول إلى الاستعدادات النفسية وبناء الشخصية على وفق الأمور العقائدية الغيبية، والجزاء المترتب عليه، والمضي قدماً، دون تأثير التحديات وما يطرأ من سلوكيات مَنْ لا يؤمن بالله..

٤- ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ

(١٠) ينظر: د. أحمد عزّت راجح/ أُصول علم النفس/ دار القلم/ بيروت/ لبنان.
- مصطفى عبد السلام الهيتي/ عالم الشخصية/ ط١/ مطبعة منير/ بغداد - العراق/ ١٩٨٥.

﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾..

وجانب مما يتبين من الآيات المباركات؛ المرحلة التأهيلية النفسية لبناء الشخصية، ما يترتب من عوامل التربية والتعليم، والمنظور وغير المنظور، ومنه بيان العصا وآلية استخدامها الطبيعي، وما ترتب عليها من استخدامات إعجازية، والاستعدادات الشخصية لموسى عليه السلام لحمل الرسالة والتكليف الإلهي، وما يترتب عليه من تخصص وعمل كل معجزة، لتكون بمثابة قوة التحدي الإعجازي..

٥- ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾، وما ترتب عليه من مؤهلات إضافية داعمة لشخصية موسى عليه السلام وإيصال الرسالة بأفضل صورة ممكنة، حيث ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾..

وهنا مما يظهر بشكل واضح، مدى أهمية الترابط البنائي والتكاملي بين الشخصية والتعلم والتربية والتعليم، وما ضرورة المؤهلات لدعم الشخصية بمواطن القوة والعزم اتجاه التحديات واستثمار الفرص الداعمة للمهام، وتذليل الصعاب بمعالجة مواطن الضعف وعقدها النفسية، ويظهر ما أهمية البرامج التربوية –التعليمية[11]..

(١١) راجع مثلًا: د. جابر عبد الحميد جابر/ علم النفس التربوي/ دار النهضة العربية– دار الاتحاد العربي للطباعة/ القاهرة/ مصر/ ١٩٧٧.

- د. محمد علي محمد/ علم اجتماع التنظيم/ دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية/ مصر/ ١٩٨٩.
- وليم و. لامبرت، وولاس أ. لامبرت/ علم النفس الاجتماعي/ ترجمة د. سلمى الملا/ دار الشروق/ بيروت –لبنان/ ١٩٩٣.
- Carroll، Stefhen J. & Tosi، Henry L. «Management By Objectives Applications And Research» The Macmillan Co.، Nowyork، 1973.
- Hampton، Devid R، «Contremporary Management» 2ed، McGraw –Hill، Inc، Tokyo، Japan، 1981.

٦- وللمهام العظيمة غير العادية، وآلية التنفيذ بهدى التشريعات الإلهية، لابدّ من تعاون وتعدد مستويات إدارية وتنظيمية، للأداء العالي وتنفيذ ما مطلوب تنفيذه بدقة وتكاملية مستمرة ومستدام، وذلك مما يتضح من؛ ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾.

٧- ﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وهو مما يعني وضمن المفهوم الإداري والتنظيمي، قبول منح الصلاحيات لتحمل المسؤوليات وأعباء العمل؛ (تحمل أعباء الرسالة)..

٨- ﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴾.

وهنا مما يظهر بشكل واضح، مضامين علم النفس الاجتماعي والأسري والتربوي والتنظيمي، وما أهمية تكامل وتوازن بين الجعل التكويني للشخصية مع الجعل التشريعي ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾، لتكون القدرات والاستعدادات متوازنة وبمؤهلات الأداء العالي..

وللإرادة الإلهية في بناء الشخصية ومتطلبات العمل المكلف به، تبدأ الاستعدادات لبناء شخصية موسى عليه السلام من كونه جنيناً ومروراً بالولادة حتى مرحلة

تحمل مهمة التكليف بنشر الرسالة الإلهية، وما يتداخل ضمنها من أجواء وتحديات ومخاطر وتهديدات، ومحدودية الفرص في نجاح أو انسيابية نشر الرسالة السماوية، وهو مما يجمع بين الاستراتيجيات وعلم النفس التنظيمي والإداري، وسبل تنفيذ الخطط والبرامج الرسالية -العقائدية، وما يجري من تعقيدات، ومنها معاناة القلق والمعاناة النفسية بين حامل الرسالة ومحتواها ومتلقيها وردود الأفعال[١٢]..

ولتهيئة النفس والشخصية باستعداداتها الواعية والواعدة:

- مرة تكون الشخصية في هذا الجو أو المناخ التأهيلي التدريبي مباشرة، فتكون النتائج والأهداف في المنحى السوي التقويمي للحياة، يعني تبادل منفعة أخلاقية منبعها ومصبها الأكيد هو النفس، وما يحيط بها وبدواخلها يخلق يبني التوازن..
- وأخرى تكون الصورة أمام الآخر، لتكون بمثابة الموعظة والدرس والتدريب وربما التأهيل، لأداء سلوك أو عمل أو فعل محدد..
- أو اشتراكهما معاً على وفق ما يسمى جانب منها؛ تقمص الدور أو تقمص الشخصية وتبادل الأدوار، ليكون كاستعداد لأداء سلوك أو فعل..

وفي كل الأحوال نرى بناء الفكر بمحتوى معلوماتي معلوم وواضح ومعلوم وبتوقيته اللازم والمناسب، مؤداه تعزيز الموقف أو تعزيز النفس لتنصب أخيراً:

- إمّا بكبْتِها والحيلولة دون إظهارها خارج الحدود النفسية، وقد يكون رغم هذا أثرها على السلوك بشكل مباشر وغير مباشر، وقد تخلق أزمة نفسية، وانعكاساتها الإسقاطية قد تنذر بالخطورة، فيكون التحول؛ سيطرة اللا وعي على الوعي بشكله السلبي..
- أو يظهرها على لسانه وادائه،

(١٢) فضلًا عن ما تقدّم من المراجع؛ راجع:
د. هاشم حسين ناصر المحنك/ الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة/ دار أنباء للطباعة والنشر/ النجف الأشرف - العراق/ ص ١٦٠ وما بعدها.
- د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم الاجتماع في نهج البلاغة/ دار أنباء للطباعة والنشر/ النجف الأشرف -العراق/ ص٣٣٣ وما بعدها.

والخطورة حينما تكون سلبية، ويكون مؤدّاها بمنصب قيادي أو إداري أو تربوي مؤثر على النفس والآخرين..

وتأهيل النفس وحمايتها واستعداداتها السوية وانتظام سلوكها لأداء ما مطلوب منها، أمرٌ مؤكد وضروري للمستقبل المشترك، وحتى على الاستعداد النفسي للمُحاور وسماع الرأي الآخر بعقلانية، مهما كان اتجاهه ومشاربه، بكل روية وصبر وإنسانية..

والدرس الآخر لبناء الشخصية، الذي يدخل ضمنه علم النفس الاجتماعي وعلم النفس التربوي والسلوكي؛ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾..

وهنا تظهر النفس السوية الفاعلة بين الصلاة والصبر، لتؤدي أدوارها المجتمعية والأسرية؛ الآنية والمستقبلية، ومدى ارتباط الجانب النفسي بالاقتصادي، ليظهر أهمية علم النفس الاقتصادي[١٣]..

والاطمئنان النفسي الذي يجمع بين الخطط والبرامج والقرارات والتنفيذ والأداء والنتائج، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، ليكون مفتاح لتماسك النفس واستقرارها، المبني على أساس؛ ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ﴾..

ويمكن القول بأنّ الاستقرار النفسي المنظور من نافذة العامل الاقتصادي، يدخل ضمن ما يمكن تسميته بعلم النفس الاقتصادي، ﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وما أعظم الرزق والجانب الاقتصادي حينما توجِّهه التقوى، التي تُدْخِل كل الاقتصاد والسلوك الاقتصادي ضمن الأخلاقيات، كأخلاقيات العمل، وتَدْخُل التقوى وتُدْخِل الاقتصاد بأعمق استراتيجيات مثمرة، وبأنمى العواقب المثمرة لبناء الشخصية، ومنه بناء تماسك النسيج المجتمعي..

ولكن يأخذ في كل زمان ومكان،

(١٣) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم الاقتصاد في نهج البلاغة/ دار أنباء للطباعة والنشر/ النجف الأشرف – العراق/ ص٣١٥ وما بعدها.

مستويات الوعي والاستيعاب والإدراك والتعصب والأهواء والحجج الواهية وما شاكلها، الدور الكبير، على حساب الحق والحقيقة والتوجُّه السلوكي الجماعي؛ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾، وهو الرأي الجمعي السلبي المؤثر والطاغي على صوت الشخصية الحقيقية السوية..

وبيان الآية المباركة واضح في تحديد السلوك الجمعي وما يُبعد الرأي العام بمؤثرات الفكر المنحرف والملوث، للحيلولة دون رؤية الحقيقة الساطعة، ودون أن يسموا بنقي الفكر والثقة بالنفس، وكأنما شخص يُطالب برؤية الشمس وهي أمامه، وهو ما يمثل أزمة الفكر، أو لنقُل عدم إيصال أو استقبال الرسالة أو المعلومة الدقيقة وما يتطلبه من الوعي المناسب، وما يترتب عليها من أزمة النفس، وسلوك الأزمة..

وأعقبت ذلك؛ بيان الأزمة النفسية المتمثلة كنتيجة حاصلة، وما يترتب بموجبها، ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾..

فما يكون عليه الجو النفسي للتربص أو الانتظار، حينما تنجلي عنه الغبرة لزمن ورؤيا مستقبلية متمثلة بيوم القيامة، مناخ وبيئة نفسية أخرى، ليتبين مَنْ يتقدّم على الصراط المستقيم مِمَّن هو قد اهتدى..

المبحث الثاني

الخصوصيات المكانية والزمانية للنفس والشخصية الرسالية

فضلاً عن ما تقدّم ذكره، فقد يأخذ حراك الأبعاد المكانية والزمانية، المحتوى الاستعمالي المتعدد الاتجاهات؛ كالفلسفية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية.. وبشكل عام؛ يتحدد مستقبل الحياة باستثماريها المناسب والمخطط له بشكل استراتيجي مستدام وبمنظور مستمر..

والخصوصيات المكانية –الزمانية، لها حضورها، ومنها المكانية –النفسية، والزمانية–النفسية في قوله تعالى: ﴿ إِنِّ

﴿أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾..

ومنه إضافة؛ المضامين التربوية، والاستعدادات النفسية، وبلورة الشخصية، وأمر التنفيذ وأداء ما مطلوب، لاستيعاب المهام؛ من إيصال الرسالة وما يتعلق بها، وما يعقب من الاختيار المتكامل المتضمن المكان -الزمان، وبمطابقة وصف المهام ومواصفات الشخصية الرسالية، والرسالة التي يحملها ومستواها الفكري -النفسي؛ ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾..

ليشخص بوضوح من بين ما يشخص؛ رصانة وفاعلية علم النفس التربوي والتعليمي، المرتبط بثقل الرسالة على الذات ونفسية الآخرين؛ (فَاسْتَمِعْ لِمَا (يُوحَى)، كون ذلك يجمع بين مقومات شخصية الرسول ومهام الرسالة وثقلها، وما يتطلب من تأهيل لحمل الرسالة، ومحورها المعلومة وإيصالها للبشرية المكلفين بالاستجابة الروحية والنفسية..

ويتجلى الاختيار الإلهي المبني على الجعل التكويني لشخصية موسى عليه السلام ومطابقته مع الجعل التشريعي المذلل للصعوبات، والمحقق إحقاق الحق ونشر الوحدانية الإلهية والعدالة وكل ما هو خير للإنسانية..

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وهو الإخبار بالذات الإلهية، والكشف عن حقيقة وحدانية الله الخالق عز وجل، والإرادة الإلهية، وما ينبثق من وحدانية هذه الإرادة والهدف المرسوم، وما يترتب عليه من اتخاذ الإرادة الإلهية، وما يتضمنه الحضور الاستراتيجي وأبعاد القيادة الإستراتيجية..

والاستعداد يبدأ من الذات والانطلاق للآخرين، وهو ما يوضح حقيقة الإيمان وتجربتها، والدعوة لوحدانيته سبحانه وتعالى، وهو بدوره يظهر ما أهمية المكان-الزمان للرسالة والإنسان، فضلاً عن الجانب النفسي واستقرار النفس عندما تتوجه لعظمة الخالق تعالى، ومعرفة مكانة المخلوق، وما يترتب عليه اتجاهها، ليثمر عنها الاستعداد والتوجه النفسي للوحدانية والعبادة بهداية الرسالة..

وهنا تذل وتذلل سطوة المخلوق

بقوة الخالق تعالى؛ اتجاه نفس المخلوق واتجاه الآخرين والمحيط الخارجي، وما يشعره من مترتبات الحقوق والواجبات، وأساليب الإشباع عند ظهور الحاجات المتنوعة من الحاجات الأساسية المتمثلة بالأكل والشرب، وحتى الوصول إلى إشباع الحاجات المعقدة بذاته وبأساليب إشباعها، وكيفية ضمان مشروعية الحاجة ومصادرها، ومدى الإشباع المشروع، واتجاه الصلاة كموجه الصلاح الفردي والجمعي والمجتمعي[١٤]..

وبالرغم من عدم الكشف عن أمد الساعة، لكنها حضورية لدى الخالق؛ وواضحة ومحدد أمدها ومدلولاتها المكانية وعلاماتها ومعالمها عند الخالق عز وجل، وما تحمله من حتمية الجزاء؛ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾..

وأهمية الوقت ومؤشرات الساعة وعلاماتها تتمثل في النهاية العظمى والحد الفيصل بين الدنيا وما بعدها، وأهمية الساعة والجزاء والنفس الذي يجمعها طبيعة وآثار الأعمال والأداء من خير وشر، ومعروف ومنكر، وما ماثلها، ووقعها في النفس بالوعد والوعيد..

ولذا الإقدام والتنفيذ وتحقيق الوصول إلى المبتغى والأهداف والحتمية أمرٌ وارد؛ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾، وبيان الهوى المعلوم بين النفس المطمئنة، والنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة..

ورغم التحديات والمخاطر والتهديدات والمعوقات، لكن تنفيذ ما هو مطلوب أمرً واقع، فإرادة الله عز وجل فوق كل شيء وإرادة، وهو ما يحقق للشخصية؛ الثقة والإقدام وعدم التراجع وعدم الخنوع وعدم الامتثال للتحديات بكل أشكالها المادية وغير المادية والنفسية..

وبمعنى آخر مستوى الشخصية القيادية وامتداداتها، يبلور مستوى أسلوب التوجيه والأداء على وفق الاستعدادات النفسية والبيئية، وبتحديد القدرات والمؤهلات والدوافع والرغبات، وبالتقييم

(١٤) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ وبالخصوص ص٢٢٨ -٢٣١.

والتقويم الرقابي البنّاء، وبتكاملية العلاقات والاتصالات الرسمية وغير الرسمية[١٥]...

وبالتنسيق والتنظيم والتعاون والتنفيذ والأداء العالي وما ينجم من نتائج، يحقق تخطي كل التحديات والصعوبات والمعوقات المادية وغير المادية والبشرية..

وهنا مما تحمله الآية المباركة، ما تتطلبه الشخصية من مؤهلات وآلية وسلامة إيصال محتوى الرسالة، وما تحمله من خصوصيات المعجزة والأمر الإلهي الثقيل والحساس، والتصدي بالوعي والمعلومة الدقيقة والصادقة وبما يناسب الظروف والمواقف، وكشف الحقائق لوحدانية الخالق جل جلاله ووحدانية المعبود سبحانه وتعالى، وهو بدوره يحقق وحدة الاتجاه والتوجه النفسي، وثمرتها القيم الإنسانية والأخلاقية، ومبعث السلام[١٦].

(١٥) ينظر: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ الإدارة والأسلوب في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ص١٧٠ -٢٤١.
- د. هاشم حسين ناصر المحنك/ موسوعة العلوم الإدارية والاجتماعية والأعمال التجارية/ مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت - لبنان/ ٢٠٠٧.

(١٦) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ص٢٥ -٩٤.

وتحديد الشخصية بؤرة ومحور المشكلة والحاجة للعلاج الفكري والنفسي والسلوكي، ووجوب التغيير، بالتوقيت والمكان؛ ﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾..

فما يحمله الأمر (اذهب) من ملاءمة التوقيت والمكان المحدد، والشخص الطاغية المتمثل بفرعون بؤرة المشكلة بكل أبعادها، ومنها الأبعاد النفسية المؤثرة، والطغيان هذا السلوك التسلطي الظالم والخَطِر بآثاره على المجتمع ونظامه وانتظام الحياة القويمة..

وحينما تقتضي الثوابت والتوقيتات، العناية باختيار البدائل بمؤشر ومؤثر المكان، يأتي الأمر الإلهي؛ ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾..

ومنها تنبثق الطمأنينة لضمان حرية العقيدة بوعي راسخ، وبوحدة الروح الإنسانية، البعيدة عن الخوف والخشية من آثار الظلم والاستبداد وتفكك نفسية الفرد والمجتمع من دواخله وبيئته النفسية..

وما أن تهيأت الفرصة الزمنية، وميقات تحقيق الأهداف الرسالية، باستثمار المكان

لحماية العقيدة، كانت النتيجة؛ ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُمۡ مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ ومنه يظهر دليل على الأهمية الترابطية بين الزمان والمكان وبناء قوة الشخصية؛ الفردية والجماعية، بالمنظور وغير المنظور منها، وما أهمية وترابط الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، لدعم دورة هندسة وإعادة هندسة بناء الشخصية وامتداد آثارها عبر الأجيال، بالفكر القويم وما يترتب عليها من بناء النفس وتوجيه السلوك، وبمنظور تقييمي وتقويمي موضوعي، للحد من جموح الطغيان بكل أشكاله[١٧]...

فيكون توقيت السخط الإلهي، عند ضياع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوصول إلى الهاوية، ويعني التراجع الثقافي والحضاري ونهاية الحضارة والمُلك، ويكون العلاج بالتوقيت المناسب؛ منه المتمثل بالتوبة والإيمان والعمل الصالح والهداية، وما يتوجب من تطهير النفس بالاستغفار، لتحل الرحمة الإلهية ومغفرة الله تعالى..

وهو ما يدلل على أهمية التوقيت التقويمي للشخصية، والرجوع عن انحرافاتها وأخطائها المكانية -الزمانية بالاستعداد النفسي وقوة إرادة التغيير، بوعي متكامل وصدق الأداء التصحيحي..

ولوقع الزمان والمكان في البيان التربوي القويم ومستوى النفس السوية، ومضامين الرسالة الإلهية الراسخة، وما يحجب المُلك والطغيان دون الإصغاء الموضوعي، وما يولده من التشنجات النفسية، ووضوح مضامينه؛ ﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾..

ومن العزة في الإثم؛ ﴿ قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾، وللكلمة وزمان تداولها، والامتداد المكاني

(١٧) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ هندسة وإعادة هندسة المجتمع بين نهج البلاغة والفكر المعاصر/ شارك في المؤتمر العلمي لمهرجان الغدير العالمي الأول الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة، بتاريخ ٥ -٩/ ١١/ ٢٠١٢م.

وما له من فاعلية، ممكن أن يكون عاملاً حيوياً باستقلاليته الحضارية والمحتوى البنائي للشخصية القيادية والمجتمع المنضوي ضمن تطلعاته المادية وغير المادية والنفسية، وباستراتيجياتها التنموية والتأهيل النفسي -الحضاري..

ويأخذ الزمن بعده الدلالي الآخر الذي يَنُم عن البناء الفكري القويم والعقائدي الواعي والواعد، الذي يُقابله؛ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾..

وقوة شخصية الكلمة لدى رسول الله موسى عليه السلام ومدلولاتها، التأثيرات النفسية المنبثقة من صدق الرسالة وقوة وجود مصدرها، وثقة موسى عليه السلام بما يحمله لخير الإنسانية، تقبّل التحدي والاحتجاج رغم ما يحيطه من خطورة طغيان الجبروت وسطوته الرهيبة، ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾..

وظهور الشخوص بمختلف أبعادها أمام الرأي العام، وما تحمله من قوة وضعف، وما ينجر من تحدي ومخاطر بفيصل الفرص المستثمرة لإحقاق الحق بثبات الشخصية الزماني والمكاني..

وعلى الرغم من حضور السطوة الفرعونية، ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾..

وحينها تزعزعت قاعدة الباطل، وضعفت القدرات قبل وقوع الاحتجاج العقائدي الزماني -المكاني؛ ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴾..

وما النزاع إلاّ نتائج الفجوة الكاشفة عن ضعف الباطل وشخوصه وأعوانه وتراجعه النفسي والمادي وغير المادي، وهو نخر عظيم في جسد الفكر الملوث، ودليل واقع على خصوصيات الزمان والمكان والتحدي العظيم، وقوة بناء الشخصية وثباتها الشامخ بالنفس المطمئنة، فضلاً عن ما يترتب عليه، بحسب ما سيتضح في مبحث قادم..

وتظهر أهمية المكان؛ (الموطن-الحضارة)، ودوره في مستوى بناء قوة وضعف الشخصية؛ (المواطن-الحضارة)،

والتأكيد عليه حينما؛ ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾..

والاستغراق Fixation يكون وصفاً لعملية الترسيخ بالتكرار في التعلم، وهو من بين ما تم التركيز عليه في تجنيد الأبعاد النفسية وما يكملها في (فَأَجْمِعُوا)، (كَيْدَكُمْ)، فالجمع على الكيد، عملية تكتيكية خاوية، ربما تنقلب بصراعاتها السلبية على الداعي للكيد، وليس فيها المنظور الاستراتيجي..

لذا فان امتداده ليس بنيوياً، لكونه فاقداً للقوة، وعندها تظهر فجوة تُضعِف الباطل، وعندها لا تتماسك النفس الجمعية على المدى البعيد، على الرغم من النداء، (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا)، وتصور سراب النفس المكاني والزماني، ﴿ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾..

وعنده يرى الباطل المدى القريب، مع الاستغراق في الاستعلاء، وهو ما تحمله الأنظمة الجبروتية الشمولية التي لا تعتني بالإنسان والمواطنة والإنسانية، والفكر المحرك فيها (علم النفس السياسي)؛ يحقق مآربه على المدى القصير ونتائجه الداعمة للنظام، لذا كانت النظرة وبناء الشخصية المكانية الزمانية، تحمل مفردات؛ (أَفْلَحَ، الْيَوْمَ، مَنِ، اسْتَعْلَى)..

ورغم الدعم الكامل ونشر أعوان الطغاة لمثل هذه الثقافة، لكنّ قصور هذا الفكر والحراك المشوه الجبروتي ودليل نتائجه الفاشلة، يكشفه الدليل الميداني بكل مضامينه المكانية والزمانية؛ ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾..

ولم يتحدد الموقف ومؤثراته الزمانية والمكانية، بل نتج وشَخَص عنه الفكر المحاور بنظرياته وتطبيقاته الميدانية غير المحدود، الذي سبق وأن اختار التحدي له، الممثل لقمم الجبروت، وأعلى ما يمثل للهرم التسلطي..

لكنّ إحقاق التحدي بالحق، المقابل لكل ما أوتي الجبروت من قوة وقسوة وظلم واستبداد؛ ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴾

وفوق كل هذا وذاك، كانت ولادة الشخصية الجديدة والمناداة والانطلاق من الفكر الجديد التنويري الاستراتيجي القويم والإنساني؛ ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾..

والتمييز بين الحق والباطل، والفكر القويم والمنحرف، وإتباع الأقوم، جزاء تزكى، ومنها زكاة أو صلاح وتطهير الفكر والنفس والسلوك، يعني رشاد الشخصية وما قامت عليه من الأسس والبناء والموثق ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾، ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا ﴾، هذه إستراتيجية النفس المطمئنة؛ ﴿ قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾، ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾، ونتائجه المنظورة وغير المنظورة، ومنه الاستقرار النفسي والاطمئنان، ومواجهة الزمان والمكان..

وتكمن البيئة والاختيار بين التمييز العقلاني واتجاهات النفس واختيار السلوك والأداء، ومما يعني الزمان والمكان وأفق الامتداد الإستراتيجي الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة)، المتمثل بنتائج الأعمال بين؛ ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾، ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾، ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ ﴾، والإيمان بالجزاء العادل..

وتمتد الخصوصيات الزمانية والمكانية في تكوين وبناء وبلورة الشخصية بكل أبعادها ضمن العمق الإستراتيجي، سواء كانت الشخصية حقيقية أو معنوية، فردية أو جمعية أو مجتمعية، مع ما تجنيه من قيم، وما تفرِّغه داخل سلوكياتها وأنشطتها ومكتسباتها وآثار ذلك الآني والمستقبلي، ونراه واضحاً في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾..

فالحلقات المتتالية والمتكاملة تنبثق مما تحمله الشخصية من فكر، ومنحى النفس، وما تكنّ الأنفس والصدور، ومنحى السلوكيات ونتائجها، والتفاعل التاريخي –الحضاري كشاهد بين (نَقُصُّ)، (أَنْبَاءِ)، ونتائج ذلك في ما تكمله الآيات المباركات..

وهو مما يعني؛ أن لا انقطاع بين الزمان والمكان في بلورة الشخصية، ومؤثراتها على مستوياتها الفكرية والعقلانية والنفسية والسلوكية، ولنا وقفة أخرى إن شاء الله لبيان جوانب مكملة على وفق ما يسعه البحث..

ونرى فاعلية الخصوصيات والعموميات المكانية والزمانية الأخرى في بناء الشخصية وبلورتها وما تحمله من أبعاد نفسية، تجمع ما بين المكان؛ (الجنة) و (الأرض)، وبين امتدادات الزمان عند؛ الماضي والحاضر والمستقبل، لبداية مرحلة ونهاية مرحلة، والشخصية الإنسانية (آدم عليه السلام)، وما أعقبه من امتدادات بيولوجية –نفسية، وتعدد وتنوع أشكال الشخصيات والسلوكيات، ومما تفصح عن هذه الصورة وأبعادها النفسية، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾..

وما تكوين المناخ النفسي التاريخي، إلاّ التصميم التقويمي لمنظور الشخصية ومكوناتها الإنسانية والسلوكية عبر الحتمية المكانية والتوقيت في حلقاته التحولية..

وحراك مكونات البيئة من جمال وقبح

نسبي، والتحديات والتهديدات الفكرية والنفسية والسلوكية؛ ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾، وعمقها في التأثير والنتائج على الشخصية، وما ينعكس من السلوك والأداء، وما يمثله؛ المكان والزمان، وما يحملان من تفاصيل وعوامل مستقلة وتابعة، المنظورة منها وغير المنظورة..

والاختيار بالتمييز بين القويم والانحراف، يمثل مستوى ثقافة الشخصية، وما تحمله من مستوى قوة الإرادة الفاعلة والعقلانية، وطبيعة استثمار الفرص، وهو مما يمكن كشفه في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴾..

ولو تأملنا في؛ ﴿ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾، وسياقها وما يسبقها ويعقبها، لتحسسنا الرابط الوثيق بين الاقتصاد والحاجة من جهة، والنفس وما تعانيه من ضيق من جهة أخرى، ولنا نظرة تكميلية في مبحث لاحق إن شاء الله..

المبحث الثالث

بناء الشخصية النفسي وسبل آلية الأداء

بَدَهيٌّ؛ إنّ ما يسبق الأداء وتنفيذ المهام المخطط لها، حضور الشخص القيادي المؤهل بكل أدوات وأسلوب التنفيذ وما يمتلك من قدرات وأهداف وغايات، المجسدة للرؤى ومكونات الرسالة، وما يتطلبه من موارد بشرية وجوانب مادية ومعنوية ونفسية..

وتبدأ المقدمات من الكشف التدريجي الاستفهامي ومما يعنيه تقرير مضمونه التنبيه وما يأتي من منبه، والتحول التدريجي لاستقراء أو تقرير للمؤهلات والقدرات وبناء الفكر القويم والاستعدادات النفسية، ومنطلقها فلسفة وعلم السؤال؛ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾..

ومما يعني ببساطة، هناك عمل وآلة

تنفيذ العمل، وآلية العمل، ومرونة وتتعدد أغراض النفع، واستثمار وسائلها المادية وغير المادية، والشخصية واستعداداتها النفسية ومعرفة ما مطلوب من أداء ووضوح تخصص العمل، والكيفية المعوّل عليها..

والتكاملية في الآية المباركة؛ الشخصية المتمثلة بموسى(عليه السلام)، وتحديد جهة اليمين، الجهة المباركة، وتحديدها كجهة تخصصية يشترك في أدائها عاملي الحركة والزمن، والآلة المتوافرة المتمثلة بالعصا المؤدية للنفع ومرونتها الجامعة ما بين؛ أتوكأ، وأهش، وامتدادها النفعي، المتمثل بمرونة الاستعمال وعقلانية الأداء العالي، المتحققة والموجهة بالمآرب الأخرى..

فضلاً عن عموميات عملها، جعلها الله تعالى وسيلة للإعجاز، وبهذا كان الاستفهام تقريرياً وللتوجيه والتوجه والانتباه إلى تحديد المعجزة المتمثلة؛ باليد اليمنى، والعصا، ويتهيأ باستعداده العقلي والنفسي والروحي، لتلتقي واستيعاب المعجزة، لتكون له وسيلة إثبات على النبوّة عند طغيان السحر ومكر كل ساحر، والتوجه الرسالي بالبناء النفسي –التربوي المقنع، والشروع في نشر رسالة التوحيد..

والمصداقية بيان آلية المعجزة والاستعداد النفسي؛ ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾، ويظهر الخوف Phobia في علم النفس على إنه[18]:

- الخوف الطبيعي..
- والخوف أو الخواف النفسي المرضي..

وبطبيعة الحال، هنا الخوف الطبيعي المادي وغير المادي والنفسي، المتمثل في الإنسان السوي، وقد يكون الخوف:

- مما يتمثل في دواخل الإنسان؛ (بمعنى الخوف من الشيء)..
- والخوف على ما يتمثل أمامه؛ (بمعنى الخوف على الشيء)، من باب الحرص والوقاية..

(١٨) راجع: د. عبد المنعم الحفني/ المرجع نفسه/ ص ١١٤ -١١٦.
- د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ص٢٠٥-٢٠٩.

- وقد يكون الخوف بمعنى؛ (نتيجة ما يترتب من أو على الشيء مستقبلاً)، والنتيجة الطبيعية المبنية على الأسس السوية، هي الاستعداد النفسي التوعوي والتربوي للشخصية، وما يتطلبه الموقف من اختيارات وما يلائم بموضوعية لاتخاذ القرارات، وبمراعاة الأبعاد النفسية وما يؤثر عليها..
- وربما جمع الخوف بين ما تقدّم ذكره..

وكأنه بالمفهوم الحديث، تنفيذ لبرنامج تدريبي وتأهيلي للشخصية، وذلك للوصول إلى استعداداتها الفكرية والنفسية لحمل هذا الثقل العظيم، الرسالة الإلهية بدلالاتها وما يثبته بالدليل القاطع وبموضوعية إيصال المعلومة..

ولابدّ أن تنطلق الرسالة بطمأنينة من الذات السوية، ومن خلال المعرفة والإحاطة بالشيء؛ ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾، والتوجّه بوضوح الهدف والغاية؛ ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾..

ولابدّ من منح الشخص المكلف بأداء عمل، الفرص والمؤهلات السليمة والامتيازات الداعمة لتحمُّل أعباء الأعمال أو ما يُكلف به، وما يتطلب من صلاحيات مناسبة لتحمل المسؤولية وأداء ما مطلوب بأفضل وجه وبانسيابية وفاعلية ومرونة، وهو مما يتضمنه وبالمنظور الحديث، إشارة إلى علم النفس التنظيمي..

وكان دعاء موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾.

وهو ما يبين القوّة والاستعدادات النفسية الداعمة للمكلّف بحمل الرسالة السماوية العظيمة، والنابعة من دقة ونقاوة مستمدات المعلومات الداعمة، والمستقاة من مصدر الرسالة السمحة، ومن جميل ما يحمله هذا الدعاء الوارد في القرآن الكريم، هو الجمع بين:

- (اشْرَحْ) (صَدْرِي)..
- (يَسِّرْ) (أَمْرِي)..
- (عُقْدَةً) (لِسَانِي)..
- ويقابله ونتيجته؛ (يَفْقَهُوا قَوْلِي)..

وما أعظمه من تكامل بين الجعل التكويني والجعل التشريعي وما يترتب عليه من تكاليف، وما أعظمه من مؤهلات لبرنامج تربوي وتعليمي عظيم

لبناء الشخصية؛ النفسية والسلوكية، وسبل آلة وآلية الأداء والتقييم والتقويم، وتتابع وصلها ووصولها للأهداف الدنيوية الممتدة في إستراتيجياتها إلى العالم الأخروي، ومما يعني أن؛ لا خطأ ولا تضحية ولا انحرافات ولا ضرر ولا ضرار..

وما اليُسر في الأمور المادية وغير المادية، إلاّ أهم السبل لتحمل الشخص القيادي والرسالي، وتكامله مع السعة والحلم والصبر، وخصوصاً التكليف العظيم للرسالة السماوية، وما يلاقيه حَمَلت الرسالة المبنية على البعد الإنساني..

وتكاملها حينما ينطلق اللسان في إيصال الفكرة أو المعلومة بما لا يعيق الاستعداد لسماع ما يحقق المسار القويم، ولا يؤدي إلى التأزم النفسي لاستقبال الرأي والمعلومة بموضوعية وعقلانية..

وبالشجاعة والإقدام وأسلوب إيصال المعلومة بدقة معانيها ودلالاتها، من الأمور التي يتطلب أن تتصف به شخصية القيادي، وكل ما تقدّم من؛ السعة واليسر والنطق، بما هو حقٌ لإيصال الفكرة، ونتيجتها فهم القول أو المعلومة أو الرسالة، وبتجمُّع هذه الأبعاد الرئيسية مع تجمُّع المخاطَبين وبما تحمله نفسيتهم من استعدادات واعية لاستيعاب ما تتلقى من مضامين الرسالة الإلهية، وهو مدعاة التأمل في عظمة وإعجاز القرآن الكريم، والتأثير النفسي السوي عند وصول الفكرة، وسلامتها الدلالية والمفاهيمية..

ولأسبقية ما وقع بينه عليه السلام وبين المخاطبين، قد لا يكون مصداق ما يأتي به موسى عليه السلام عندهم، وذلك نتيجته الحواجز النفسية ومعوقات الجهل المؤدي لضعف التأثير الفكري والنفسي فيه..

لذا كان من متطلبات التعزيز وفرص إيصال المعلومة والتنويع والتكامل القيادي مع هدى الرسالة والدعوة للوحدانية؛ ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾..

وهو ما يمثل في العلوم الإدارية المعاصرة، طلب تعدد المستويات ومعالجة المواقف والأدوار الإدارية وما

يتطلب التوسع في الصلاحيات، ودعمها بمتطلبات تنفيذ الأعمال الموكلة أو المكلف بها، وأسباب طلب هذه الصلاحية، التي تتطابق مع متطلبات المسؤوليات وتنفيذ العمل بحسب ما مخطط له، فلا يمكن تنفيذ خطة بلا توافر ما يدعم آلياتها التنفيذية من الشخوص والجوانب المادية وغير المادية والاستعدادات بكل أشكالها المتكافئة وبالتوازي مع مخاطر المهمة..

وما كان من الخالق جل جلاله إلاّ أن؛ ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾، لكون لا تنفيذ ولا أداء حقيقي ولا تحمل المسؤوليات، بلا وجود مؤهلات داعمة وصلاحيات تحقق نجاح انسيابية ما مكلّف به، وبحراك ما يدعم التنفيذ والأداء بلا قيود تعيق ما مطلوب، وهو ما يهتم به ويعالجه؛ علم النفس التنظيمي وعلم الاجتماع التنظيمي والسلوك التنظيمي[19]...

وتهيئة الاستعدادات النفسية، بعد ما حملته الشخصية من الجعل التكويني المقابل له والمكمِّل له الجعل التشريعي، ليكون وحدة الأوامر بالأداء سيد الموقف، والآلية التنفيذية لا تأخذ مجراها إلاّ بالأمر المدعوم بالتخويل أو الصلاحيات، والعمل بمقتضاها يتم بوحدة الأوامر وأوضح وأدق ما مطلوب من أداء؛ ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾.

فالواضح؛ الأمر مع تحديد الشخصية المكلفة بالأداء، والهدف المرسوم ضمن ما

(١٩) فضلًا عن ما تقدّم راجع: د. جابر عبد الحميد جابر/ علم النفس التربوي/ دار النهضة العربية –دار الاتحاد العربي للطباعة/ القاهرة/ مصر/ ١٩٧٧.

- د. بدر الدين عامود/ علم النفس في القرن العشرين/ ج١/ من منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق –سوريا/ ٢٠٠١.
- د. فاخر عاقل/ علم النفس التربوي/ دار العلم الملايين/ بيروت/ لبنان/ ط٦/ ١٩٨٠.
- جي. ف. دونسيل/ علم النفس الفلسفي/ ترجمة سعيد أحمد الحكيم/ ط١/ دار الشؤون الثقافيّة/ بغداد/ العراق/ ١٩٨٦.
- وليم و. لامبرت، وولاس أ. لامبرت/ علم النفس الاجتماعي/ ترجمة د. سلمى الملا/ دار الشروق/ بيروت –لبنان/ ١٩٩٣.
- و. م. أونيل/ بدايات علم النفس الحديث/ ترجمة د. شاكر عبد الحميد/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ العراق/ ١٩٨٧.

مخطط له، والجهة المطلوبة وأسباب التوجه لها، وهو دليل على ضرورة وضوح الهدف والخطط والوعي بالأسباب الموجِبة للقيام بالتنفيذ، ومدى أهمية المرونة والانسيابية المتمثلة بالقول اللين، فضلاً عن ما تمتلكه الآية من:

- نظام الاتصالات المتكون من المرسل والرسالة والقناة الموصلة لهذه الرسالة وسلامتها وما تمتلك من مقومات دقة الإيصال..
- والمرسل إليه بصفة الفرد -الجمعي؛ الفرد فرعون؛ وممكن أن تمتد إلى غيره بصفة الموعظة والتقويم بالنبوة، وما يترتب اتجاه كل طاغية في أي زمان ومكان.. والجماعي المتمثل بقوم فرعون، والمحتوى واللغة التي تحملها الرسالة، والنتائج والتغذية العكسية، بما فيها التوقعات..

والبناء النفسي للشخصية، وما يترتب على التنفيذ من دقة آلية الأداء، وما مؤشر على مكانته في الآيات الكريمات، وهو ما تبينه الآية المباركة؛ ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾.

ومما أراه هنا هو اهتمام الخالق عز وجل باستقرار موسى عليه السلام النفسي، ومدى ما مطلوب من انسيابية تنفيذ القرار للوصول إلى الهدف المنشود، وفي مقدمته رضى الله جل جلاله، وبتكاملية الأداء الجماعي وتوقيته والدقة المطلوبة، والدليل ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾..

وما الغضب Anger في علم النفس إلاّ استجابة انفعالية قوية نتيجة مواقف التهديد، أو هو رد الفعل على الموقف الخطر المهدد لمستقبل المجتمع والإستراتيجية التربوية، وأمده قصير وقد يكون هجومياً[٢٠]..

والغضب هنا موجّه وإنساني، والدليل غضبان أسفاً، وهي أجمل رسالة

(٢٠) راجع مثلًا: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ص٢١٤ -٢١٩.

نفسية دلالية بليغة وبالغة وممهدة لتأنيبهم وتوبيخهم على ما فعلوا، ويُجسِّد ألم موسى عليه السلام المنبثق من الأسف على موقفهم وما اقترفوه بسبب تغير المنحى الفكري غير الموضوعي، وما عبدوه من دون الخالق عز وجل، وأعقبها -كما جاء في الآية الكريمة -بالاستفسار المليء بالعتب وأسلوب التقريع الضمني، والمؤلم نفسياً..

وهنا مما يظهر متطلبات السلوك القيادي وتلاحمه مع الناس، والإقدام المدروس على وفق ما يتطلبه الموقف، والنشاط والتأثير النفسي المترتب عليه ولكل مستوياتهم، وفيما إذا كان فردي أو جماعي..

وللسلوك والدور الناشئ عن المرحلة وما يتيح الموقف لاستخدام القابليات والقدرات على استغلال الفرص في مآرب منحرفة، وتوجيه أو تحريك الرأي العام والسيطرة عليه بالعواطف من الفجوة السانحة المبنية على الجهل والفقر والتنشئة الاجتماعية، ليغيِّر بمنحرف الفكر نفسية الآخرين وينجر ذلك على سلوكهم الجمعي..

ويتضح جانب من هذه الصورة والسلوك حينما؛ ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾.

وكان أداء السامري الموجِّه والمؤثر بسلبيته، والمسيطر عليهم من خلال فجوة الجهل على السلوك الجمعي، ودليله؛ ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾..

وهو يوضح استقرائياً، ما خطورة السلوك الجمعي أو السلوك الاجتماعي Social Behavior المبني على الجهل وما يشمل من المؤثرات السلوكية، وما يكون ناتجاً عن معطيات الاندماج مع الجماعة، ومدى خطورته عندما يصل إلى مرحلة أداء السلوك المنحرف Deviant Behavior..

المبحث الرابع

الشخصية بين الماضي والحاضر والمستقبل

للترابط بين تاريخ أو ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله، السبل الكفيلة في

بناء الشخصية بتراكم حيثياتها وتماسك النفسية ووجودها، على وفق أسس من شأنها أن تخلق دلالات ومحفزات الثقة بالنفس، يعني هناك موطن واضح، ومعلومات داعمة تنبع امتلاء ووضوح الصورة ومحتواها..

وقد يبني الحدث، أمور جمّة، منها تأهيلية مشبّعة بالخبرات والتجارب والإحاطة بالحياة عموماً، وبالتأهيل القيادي للأمة، ومعايشة الأحداث أول بأول وعن كثب، ورؤية كل ما يخوضه الجبروت والظلم والاستعباد والاستبداد وامتهان الإنسان بأبشع الصور، والمتمثلة بالسلوك الفرعوني، وما عايشه موسى عليه السلام بكل تفاصيله الدقيقة ومنها النفسية، وهو مما وضحته أبعاد الآيات الكريمات:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾.

وللربط بين أحداث الماضي والحاضر والمستقبل بالنسبة لشخصية، لها أبعادها وأهميتها وعمقها الدلالي النفسي وبلورة الشخصية، وجانب من ذلك، ما يهتم به علم النفس النمائي أو النشوئي، وعلم النفس البيئي، وحتى البيئة النفسية، وما يتكون من الحالات والعمليات النفسية والخصائص الشخصية للإنسان، مروراً بتعاقب مراحل نمو الشخصية..

فالطفولة يهتم بها علم نفس الطفولة، ومرحلة المراهقة يهتم بها علم نفس المراهقة، ومرحلة الشباب يهتم بها علم نفس الشباب، ومرحلة الرشد يهتم بها علم نفس الرشد، ومرحلة الكهولة والشيخوخة يهتم بها علم نفس الكهولة والشيخوخة، وهكذا[٢١].

(٢١) ينظر في المراجع السالفة الذكر، ومنها:
راجع على سبيل المثال:
- د. عبد المنعم الحفني/ المرجع نفسه.
- د. أسعد رزوق/ المرجع نفسه.
- د. فاخر عاقل/ معجم علم النفس/ دار العلم للملايين/ بيروت –لبنان/ ١٩٧٧.

ويظهر جانب آخر في الآية المباركة، وهو علاقة موسى عليه السلام بالأسرة والمجتمع، وجانب مما يهتم به؛ علم نفس الشخصية والذي يعتني بالخصائص النفسية لدى الفرد كما هو عليه، الطبع والمزاج ونمط السلوك والنشاط العصبي العالي والدوافع والقدرات والحوافز وما إليه فضلاً عن العوامل المؤثرة فيها..

وعلم النفس الاجتماعي وبالخصوص ظواهر النفس الناشئة عن ما يتم من تفاعل الفرد مع المجتمع، بما فيه الفرد والجماعة الرسمية وغير الرسمية، ويهتم بالقيم والتقاليد والمعتقدات والرأي العام، وما تأثيره على سلوك الإنسان..

وأيضاً هو مما يدلل -كما تبين -على أهمية المؤهلات والقابليات والإمكانيات والقدرات والرغبات، فضلاً عن ما يتطلبه من منح الصلاحيات، مقابل تحميل وتحمل المسؤوليات..

كما في المبدأ الإداري؛ (أطلب المستطاع لكي تطاع)، والمستطاع لا يكون إلاّ بوجود الجعل التكويني وتكامله وتوازيه مع الجعل التشريعي، وما يتطلبه من التحديد الوظيفي وموقعه من الهيكل التنظيمي لكل نشاط، مهما كان حجمه صغيرا أو كبيرا، مع متطلبات معرفة ما مطلوب من تخصص وما مترتب عليه من تقسيم العمل، سواء كان تشريعي أو تنفيذي أو قضائي، لتنفيذ الأعمال المرسومة على وفق ما مخطط له، للوصول إلى الأهداف بأرقى وأفضل النتائج..

والاستعراض التاريخي لِما مرّ به موسى عليه السلام من ولادة وأساليب الحماية من التحديات حتى لا يُقتل، بحسب ما ورد في مضمون الآيات الكريمات، و بعد كل هذا التأهيل والاستعدادات المادية وغير المادية والنفسية والمعلوماتية المتمثلة في مضامين الرسالة السماوية، النتيجة العظيمة التي خصها الله سبحانه وتعالى بموسى عليه السلام؛ ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾..

وبهذه النعم والاختيار وما خصه جل جلاله، إلاّ لتحمل مسؤولية الرسالة العظيمة، والخاصية تمثل قوة الرسالة وقوة بناء الشخصية التربوية القيادية الرسالية، وبحسب ما مطلوب من وصف وظيفي وما يتطابق مع مواصفات شاغل الوظيفة

المحددة، وهو أرقى مضامين لعلم النفس القيادي، وتأخذ هندسة الموارد البشرية وما يتضمنه من وظائف وتناغم ما بين الإنسان وما يزاوله من أنشطة ووسيلة الأداء المتاحة، و(اصطنعتك) من مصاديق ما يتوجب من مطابقة الجعل التكويني مع الجعل التشريعي في كل المضامين..

وورد في (لسان العرب)؛ واصْطَنَعَه: اتَّخَذه. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾، تأْويله اخترتك لإِقامة حُجَّتي وجعلتك بيني وبين خَلْقِي حتى صِرْتَ في الخطاب عني والتبليغ بالمنزلة التي أَكون أَنا بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم؛ وقال الأَزهري: أَي ربيتك لخاصة أَمري الذي أَردته في فرعون وجنوده[٢٢]..

وبعد كل هذا البناء للشخصية القيادية الرسالية السوية الرصينة المتكاملة، وما امتلكت من مبادئ واستعدادات وقدرات ودوافع وحوافز..

وما تحقق للشخصية من مواصفات تتطابق أو تتكافأ مع متطلبات الوظيفة أو المهمة والآلية المتوافر، ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾..

والمقابلة بكل محتوياتها؛ بين (الآيات الإلهية العظيمة)، و﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بما فيه إدعائه الإلوهية والربوبية؛ هذا السلوك القيادي الجارف المدمر الناجم عن الوقع الفكري المنحرف وامتداده في الانجراف إلى الاضطراب النفسي الخطر..

فلا يستقر ويسيطر عليه إلاّ بالعلاج النفسي وقوة الكلمة؛ ﴿قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ البعيد عن الغلظة والجفاء والشدة، وفلسفته أن تقرِّبه بنفسية، لها استعدادها من الإنصات ومراجعة النفس على انحرافاتها، دون أن يكون هناك رد فعل لا يحمد عقباه على جميع الأطراف، والحيلولة دون تشويه أو التشويش على المعلومة أو إعاقة وصولها..

لكن استباق الحدث للحيطة والحذر، أظهر عامل الخوف السوي الذي تمثل فيما ورد في خطاب كل من موسى وأخيه عليهما السلام للخالق عز وجل، وما تحملهما المسؤولية القيادية من استقراء الواقع المتأثر بما سبق

(٢٢) ابن منظور/ لسان العرب/ ضمن كلمة (صنع).

من مخلفات الماضي، ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾..

فضلاً عن كون الخوف نابع من استحضار واستقراء الماضي والحاضر وتوقعات المستقبل، والاستقراء يمثل قوة الشخصية، وتماسك بناء النفس-الشخصية، وتماسك المكونات النفسية-المعلوماتية..

وأعظم تعزيز وقوة استقرار ومنتهى ما تحمله من تحديات وزرع الثقة بالنفس والإقدام، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، ومعهما بالتأكيد الراسخ والأمل والمخاطبة، وبالتعزيز القادم من رب مطلق العظمة، التي لا تواجهه وتحده قوة وقدرة..

ونتيجة التعزيز وزرع الثقة بالنفس ورباطة الجأش والاستعداد؛ ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾.

هذه الانسيابية العظيمة المنبعثة من النفس الخيِّرة المطمئنة، مستهدفة نبل المشاعر الإنسانية والعقول السوية، ومنتهاها السلام بكل مكوناتها الفكرية والنفسية والمؤثرات السلوكية المجسدة غالباً لحقائق الأمور والإيمان بالمحتوى والبناء الثقافي بكل ما تتضمنه، وامتداداتها التاريخية، والآفاق الإستراتيجية..

وما التهديدات الناجمة عن الكذب، وما له من المخاطر النفسية المنبعثة عن منحرف وملوث الفكر، لتسري عبر النفس، وتتجسّد بالسلوك المنحرف والمدمِّر والمكون للفجوات التي تولد الضعف في كل جسد، وعلاجه النفسي في تحديد مواطن الضعف واستلاله ومواجهة الحقيقة، لإعادة منظومة الصدق إلى مجريات الحياة؛ ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾..

فالكذب وبالخصوص الكذب المرضي pathological lying منتهاه عذاب وقلق نفسي، حتى على مستوى الذات، لاعتبارات مجتمعية وأخلاقية ومنطقية وإنسانية، ومحدداتها الدنيوية والأخروية، ويعني ما لها من عمق استراتيجي خطر..

وما يلحقها من المخاطر والتهديدات بالتحول والجبروت والطغيان والظلم،

بمؤشره ومؤثر الكلمة النفسي، المتمثل بوقع السؤال؛ ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾..

ولإضعاف موقف الرسالة وحامليها، كان الأسلوب النفسي في تحجيم الشخوص والرسالة، والمحددة بربكما؛ الرب (عز وجل) وموسى وأخيه(عليهما السلام)، وتفاقم محاولة فرعون لإضعاف الموقف والشخصية، وذلك في مخاطبة موسى(عليه السلام)..

فما كان من موسى(عليه السلام) إلاّ أن حطّم ما حاول فرعون تحجيم مَنْ لا يُحجّم، وتحديد القوة التي لا تُحدد، بما يحمله من ثبات العقيدة وعقيدة الثبات، وثقة النفس المؤمنة المطمئنّة الواسعة الإيمان والمترامية الآفاق؛ ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾..

وبيان الجعل التكويني؛ ﴿ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ﴾، والجعل التشريعي؛ ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾، وبيانه للقوة الأخلاقية البنّاءة والهادفة لانتظام الحياة بما فيها كيان الإنسان، ومنه التكوين النفسي ومستوى بناء الشخصية، وهو بذاته يدخل ضمنه الجوانب النفسية بكل تفاصيلها..

فما كان من فرعون إلاّ أن ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾..

وما جرى من قطع فرعون لموسى(عليه السلام) من تغيير الخطاب ومدلولاته، من أجل أن لا يتأثر الحضور فكرياً ونفسياً وسلوكياً وعقائدياً، فضلاً عن ما يدلله على مدى تأثير هذه المحاورة وامتصاص طغيان وجبروت فرعون على المستوى النفسي، وهو بذاته علاج لجانب من مرض فرعون النفسي –التاريخي..

وما كان من موسى(عليه السلام) إلاّ أن يستثمر الفرصة الثمينة لمواجهة التحديات، وبطرح أعمق الطروحات الفكرية العقائدية ذات الطابع الفلسفي، وما تضمنته من أبعاد علم النفس الفلسفي Philosophical Psychology، ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدًا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾..

وما يظهر من جمالية هذه البيئة، وجانب منها البيئة النفسية، وما تأثير هذا

الجعل، وما نتفحصه من الانسيابية في التتابع المبتدأ بالأرض حتى امتثال النبات بتكوينه أزواجاً، وما يحققه من أمن غذائي وأمن نفسي، وهو جانب مما يهتم به علم النفس الاقتصادي، وتعاظمه في تحقيق الذات على وفق هدى التشريع الإلهي..

والعالم النفسي الجميل بطمأنينته الذي يجمع بين الحاجة بكل منابعها الأخلاقية والإنسانية، وتعدد أشكالها المادية وغير المادية والنفسية، وتعدد أشكال السعي لإشباعها، وجانب مما يتمثل في؛ (جَعَلَ)، (لَكُمُ)، (الْأَرْضَ)، (مَهْدًا)..

وتكاملها العملي والواقعي عند؛ ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾، وآلة وآلية الحياة المتجددة بطاقاتها وبدائلها المستدامة؛ ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، وهو الداعم للتنمية المستدامة والتطوير بكل أشكالها وتكاملها؛ ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، وفي كل مكوناته تشخص النفس والبيئة والفطرة والسلوك، والمتغير والثابت، والخصوصية والعمومية، والذاتية والموضوعية، ويبرز ضمنها أهمية توزيع الأدوار المثمرة والتخصص والتنوع البيئي، والفلسفة الحياتية ومنها ما يمثل الحقل الخصب لدراسات علم النفس وفروعه المتنوعة..

وما أروع الطمأنينة والاستقرار النفسي حينما يتواصل بالتنمية المستدامة؛ ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ يعني تواصل العطاء والخير وما يدعمه الإشباع الأخلاقي للحاجات، إذا كان بحسب سياقه الفكري القويم وسوي النفس وقويم السلوك..

ومما يشمل مضامين علم النفس الفلسفي، ما ورد في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وحراك الجعل التكويني إلى ما وراء الطبيعة..

ومنه الإصغاء المشفوع بالاستعدادات النفسية لاستقبال المعلومات، أمرٌ ضروري ولابدّ منه، وهو ما يعالجه علم النفس التربوي Educational psychology وما يتخلله من تعلم وتربية وتعليم، والاهتمام بالجانب المعرفي والصحة النفسية والعقلية والجسدية..

ومن عوائق تنفيذ الخطط التربوية

القويمة، ما يحمله حاجز وطغيان الجبروت والعزة في الإثم، ومما يحول الطغيان بينه وبين ما تحمله الحقيقة من متطلبات التحليل الموضوعي والعقلاني والاستعدادات النفسية والتوجّه للإصغاء والتفاعل المنتج..

ومن صوره الميدانية ما جاء به موسى عليه السلام من تبليغ فرعون وقومه بعظمة الرسالة السماوية؛ ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾، لذا ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾..

ولم يُسعف استعدادات فرعون الفكرية والنفسية وقوة شخصيته وبلاغة الاحتجاج والدلائل، إلاّ قوله؛ ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾..

وكانت محاولة لتمييع الحقيقة، والتخفيف من قوة احتجاج وأدلة موسى عليه السلام، وعمق التأثير الفكري والنفسي لحقيقة وجود الخالق عز وجل ووحدانيته، فإرجاء المحاورة الموضوعية، لمكان وزمان تتحول فيه الاستراتيجية الموضوعية والعقلانية إلى ما يُخرجها عن مفاهيمها وقدراته العقلية والعقائدية –الإنسانية، ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾..

ولا يكون الكيد والمكر أو خلاف ذلك، إلاّ بدراسة الأجواء ونفسية الآخر والمحتوى الفكري والنفسي والسلوكي له، والتوقعات المستقبلية لردود الأفعال، وقول فرعون هذا وما جمع، يفتقر للرؤى العقلانية ومحتوى الرسالة والاستعدادات الفكرية والأهداف المُحكمة..

ومن الحضور العقائدي الفاعل، وقوة الرسالة ووضوح الخطاب والدلالات، وما تمليه من عظيم واتساع مساحة الثقة والمبتغى؛ ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾..

لكنّ الجهل انبرى يصارعه العقل، أو يفصح عن ما يتجه به ويقوده العقل بالعلوم والمعارف والدراية والتنوير، ومؤشره توجيه التحذير من خطورة الانصياع للأهواء والافتراءات..

وما كان من علاجات موسى عليه السلام

إلاّ بأسلوب الصدمة النفسية العلاجية للسحرة، ووقع روع أو هول ذلك في نفوسهم، ﴿ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴾..

ونتيجة قوة كشف الحقيقة، ومؤثراتها النفسية، أن وقع الانقسام والخلاف والتنازع بين السحرة، وبيان الضعف والهوان في براهينهم وطروحاتهم، وشعورهم به، والخوف من فرعون لئلا ينكشف أمامه، وهو يمثل الضغوط النفسية الكبيرة، وما أدى إلى خفض المعنويات والثقة بما يحملوه من أفكار الشعوذة، وكان مرده تراجع الثقة بالنفس وما يحملون من كيد السحرة..

والمؤدى أن كان سلوكهم وانعكاساتها في ظل هذه الضغوطات، وقرروا سراً أن يؤمنوا برب موسى(عليه السلام)، إن فشلوا باستعراض سحرهم، وكان عدم الكشف عنه خوفاً من انعكاساتها على الرأي الجمعي اتجاههم وضغوطات جبروت وطغيان فرعون، حيث ﴿ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴾..

ومما يدخل بعلاجاته هنا، هو علم النفس الاجتماعي Social Psychology الذي يُعد أحد فروع علم النفس، كونه يعتني بدراسة سلوك الأفراد ضمن مواقفهم الاجتماعية والثقافية، أو يدرس سلوك الجماعات وما تؤثر على نمو الشخصية والتفاعل الاجتماعي، ومعه يقف جنباً إلى جنب علم النفس التربوي وعلم الاجتماع[٢٣]..

وذروة المواقف ومجرياتها النفسية تظهر عند:

- ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴾، وتزامن معه، وأعقبه التحدي المادي وغير المادي والنفسي، المرئي والمسموع وما حمل من استقراء الحدث والدلالات، وتواصل الثبات والثقة بما يستمده من المعجز الإلهي

(٢٣) راجع: د. عبد المنعم الحفني/ المرجع نفسه/ ص٣١٢.
- د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ص٢٢٨-٢٣١.

الداعم لدعوة الوحدانية والحقائق الثابتة..

- وبكل ما يحمله موسى(عليه السلام) من الدعم الإلهي والثقة والاستقرار النفسي؛ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾..

ولهول الموقف الفيصل بين الحق والباطل التي ستُبنى عليه النتائج ومستقبل الرسالة السماوية ومستقبل الأمّة في حينها، وما يحيطها من جبروت وطغيان..

- وحرصاً منه على ما تكون عليه النفس المجتمعية ووطأتها ووقعها على سلوكيات الناس، وافتتانهم بما يُخيّل من سحر السحرة، ربما كان مؤداه؛ ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾..
- ولتواصل الثقة بالنفس والطمأنينة على ما سينجم عنه نتائج هذا الموقف، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾..
- وآلية الإثبات وثبات إحقاق الحق، جاء القرار الحاسم وبثبات وطمأنينة النفس وتنفيذ ما ورد من قرار إلهي، ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾..
- والنتيجة الحتمية، وقوة ودليل التأثير النفسي من إحقاق الحق وبيان الحقيقة التي لا مناص منها، ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾..

وأقوى وقع نفسي جماعي حينما أذهلوا السحرة الناس بسحرهم، ولحقه هيمنة ورسوخ الحقيقة من موقف نفسي أقوى، حينما تحولت عصا موسى لتثبت المعجزة الإلهية، ولحقه وقع نفسي أعظم، حينما لقفت ما صنعوا السحرة، وتكاملها مع الوقع النفسي لمعجزة اليد البيضاء، وما عرف السحرة أنه ليس بسحر فأذعنوا بالسجود اعترافاً، والشهادة بالإيمان برب هارون وموسى..

- وعند دحض الباطل ودوي الوقع النفسي الجماعي والمجتمعي، وما خلفه من فراغ سيطرة عليه كلمة الحق، فسقط القناع وسقط الباطل، وخلا ما في يد فرعون، فحاول شغل هذه الفجوة العظيمة، وقطع مؤثرات هذه الصاعقة في النفوس، أراد أن يضع الحد بالسطوة والجبروت والطغيان الأعمى؛ ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ

لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾..

- لكنّ الأعظم قوة في الحق، حينما لم يكن للطغيان أذن صاغية ممن لهم القدرات، ولم يكن لردع العقوبة صدى ووقع في نفوسهم، إذ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ﴾..

وهو دليل على قوة الإرادة الإلهية والدعم الفكري الذي احتجّ به موسى عليه السلام ومعجزاته، الداحضة لكل ما يؤتى الباطل من قوة وجبروت وسطوة..

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أهمية التوقيت النفسي المناسب للجزاء، فحينما تكون الحقيقة والاستجابة لها، أعلى صوت ووقع في النفس البشرية من العقوبة، لا يكون للعقوبات مهما تعاظمت أي تأثير رادع، حتى لو كانت العقوبة تودي بحياة الإنسان..

وبشكل عام هو ما يهتم بدراسته علم النفس الإداري وعلم النفس الجنائي وعلم النفس القضائي، وبالتحديد نظام المكافآت والعقوبات وسياساتها ومتطلبات توقيتاتها والمعني بالعقوبة ومَنْ المُعاقِب وقدراته المتوافرة ومكان العقوبة والمحتوى الفكري ومستوى الوعي والإيمان والموقف[٢٤]..

بعد هذا المناخ المفعم بجلالة الموقف المتجلي فيه الحق وانتصاره على الباطل، وما زرعته من الثقة العارمة في نفوس مَنْ تجلى لهم الحق وأسلموا، ومواصلته لابدّ من حماية هذا الإنجاز وتواصل قوة وقعه النفسي، وحماية حقوق الإنسان وعيش

(٢٤) د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم النفس في نهج البلاغة/ المرجع نفسه/ ومنه ص٢٣٢ -٢٣٦.

الإنسان في الحياة الكريمة، وما تضمن له إشباع كل حاجاته المنظورة وغير المنظورة، بما فيها وفي مقدمتها حرية عبادة الله جل جلاله وبناء المستقبل المنشود، ومنه كان الخطاب الإلهي:

١- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾، وتتمثل هنا الطمأنينة بتغيير المكان، بالهجرة لضمان حرية العبادة واكتساب حقوق الإنسان، وحمايتهم في جو نفسي زاخر بالطمأنينة، بلا خوف من الظلم والجبروت وامتهان الإنسان وهدر كرامته..

٢- ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾، وهي تمثل بنهاياتها نقطة التحول والانطلاق إلى الفضاء الحر والاطمئنان النفسي، بعد الضلال وتعاظم الجبروت والظلم..

٣- ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾، وهنا في هذه الآية المباركة، مما يظهر هو تكاملية إشباع الحاجات المادية وغير المادية والنفسية، وبناء الردع النفسي الوقائي، لحماية الإنسان من الزلل، وبيان الرحمة الإلهية العظيمة..

أما العقوبة النفسية الدنيوية النافذة؛ ﴿قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾، وهنا يتمثل الامتداد الزمني الجامع بين ماضي السلوك وتبعاته الآنية والمستقبلية..

والعودة للفكر التقويمي الإخباري والعقلي الواعي؛ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾..

وهو امتثال الرشد للوحدانية والتوحيد، والاستقرار النفسي على وفقه، وبمقومات قويم الفكر العقائدي الإرشادي، وعلى وفقه يتمثل الماضي والحاضر والمستقبل الغير المحدود،

وتأثيراته التقويمية على النفس والشخصية..

وأعقبها انسيابية مضامين الآيات المباركات، التي تغوص في عالم مليء بالاستقرار النفسي للمؤمن، وبكل أبعادها الإستراتيجية العظيمة، الممتدة إلى ما بعد الدنيا، وما يتحمله الكافر من وزر يغيِّر عليه الأجواء النفسية وطبيعة بناء الشخصية؛ ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾..

وبهذا يرتبط التأثيرات على الشخصية، الماضي المنضوي في؛ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾، والحاضر المتضمن ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾ والمستقبل الدنيوي والأخروي ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾، وما يتمثل بعدها من الآيات الكريمات..

وتتلاحق الصور النفسية -البلاغية المحمّلة بالبيان ودلالات المعاني، المشبعة بالترغيب والترهيب رحمة للإنسان وعواقب الأمور وبأجوائها الشخصية-النفسية، ومداركها الماضية والحاضرة والمستقبلية؛ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾..

والآيات المباركة تضع أمامنا علاقة العلم بالاستراتيجيات وتتابع الماضي والحاضر والمستقبل، وفي حالات تتضمن

المستقبل بصيغة كأنه الماضي، وتتمثل فيه الرحمة الإلهية لوضع الصورة الواضحة الردعية الوقائية، وكأنّها تقول هذا الفعل وهذه النتائج وجريرة الفعل أو العمل أو السلوك..

وتضع الإنسان ضمن نفسية وأجواء التصور والاختيار، وتستنهض فيه الرغبة في انتهاج السلوك السوي، ليحظى بقوة الشخصية والنفس المطمئنة في أجواء العلم وشحذ الهمم، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ولنتصور ما ستكون عليه الدنيا بشكل عام، والنفس البشرية بشكل خاص، في ظل العلم الذي لا يتوقف عن الزيادة والريادة والقيادة والتطور والتنمية المستدامة وتعاظم النفع وإشباع الحاجات المنظور وغير المنظورة، بمنظور دنيوي وأخروي..

وبمعنى آخر؛ يأخذ حيز أبعد من إستراتيجية دنيوية عابرة بمرور المنتوج، بل جعل الإسلام استراتيجية مثمرة النفع الإنساني -النفسي الممتد عبر ما تحمله الشخصية من قيم ورؤى ورسائل وبأهداف مزدوجة تقويمية تجمع ما بين الماضي والحاضر والمستقبل..

والمستقبل في الإسلام يعني دنيوي-أخروي، فضلاً عن ما يحمله الماضي والحاضر بذات الاتجاه، بإنسانية النية والفعل والسلوك الذي لا يحده حدود إلاّ الموت، والدليل واضح فيما تحمله الآيات القرآنية، ومنها ما وردت في سورة طه، وهو ما لا تستطيع احتواءه وحَمْلَه أرفع وأدق النظريات الحديثة في علم النفس التربوي والاجتماعي والتنظيمي..

أمّا الإخفاق أو التقصير، لهما المسببات والنتائج الخطرة على الذات، وقد يتعدى بتأثيره على حقوق الآخرين، وربما يمتد ويتسع برقعته المكانية والزمانية وآثاره على المدى البعيد، وشكل من أشكال الإخفاق هو النسيان Forgetting الذي قد يأخذ اتجاهه الإيجابي والسلبي..

فالإيجابي؛ يحقق النسيان خفض الضغوطات النفسية وما ينتج عنه الاستقرار النفسي.. والسلبي؛ هو ما يتعرض الشخص إلى إخفاقه في تذكر أو أداء أو تنفيذ ما اكتسبه أو تعلمه أو عَهِدَه؛ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ

نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾..

وهذا الجو النفسي التاريخي، وما استعرضته الآيات المباركات من خلق آدم عليه السلام وسجود الملائكة له بأمر من الخالق عز وجل، وعصيان إبليس لأمر الله سبحانه وتعالى، وما وسوس الشيطان لآدم عليه السلام حتى أزلّه وزوجه وعصيا الله جل جلاله رغم التحذير الإلهي، وما بدت سوآتهما وتاب الله عليه وهدى، وهبوطه من بيئة الجنة إلى بيئة الأرض، وما لحقه من الصراع النفسي والقلق على ما هو فيه وعلى المستقبل الدنيوي والأخروي..

وعندما يصل النسيان إلى نسيان خير الدنيا والآخرة، وتجاهل حقيقة الحياة ووقعها النفسي، يبدأ وينتهي التدمير الذاتي والموضوعي..

لكنّ الوقاية والعلاج تبقى مشرعة عند؛ ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، وهو ما يستمد ويستند على؛ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾، لتكتمل وضوح الصورة والرشاد والوجهة والسبيل والغاية والهدف، بالهداية المتمثلة بمحتوى؛ (هُدًى)؛ هذه القوة المحركة، والشعور والطاقة العقلية والنفسية الداعمة، فتستقر فيها الأنفس لينطبع على السلوك والفعل والعمل..

وتتعاظم الخطورة، حينما يمتد مؤثر التدمير النفسي للذات والآخرين، ونسيان الخالق جل جلاله في الفكر والذكر والتفاعل النفسي والسلوك والفعل المنظور وغير المنظور..

وللإعراض موطن ونتيجة وحتمية تتضح خطورتها وصورها عند؛ ﴿وَمَنْ

أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾..

وأيّ نفسية وشخصية تُبنى على الإعراض عن ذكر الله عز وجل، وقطب رحاها المتمثلة بنسيان آيات الله في الخلق والكتب السماوية، وما تهديدات ومخاطر التوجُّه نحو الأجواء الضبابية والتخبّط بالسلوك والعمل الحرام، وربما سفك دماء الناس والإنسانية، وبلا موعظة ورادع، وينسى حتى ما يدخل على قويم النفس بالعِبرة والاسترشاد من هلاك ما مضى من القرون، ﴿ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾..

وتترسخ الوقاية والعلاج الفكري والنفسي والسلوكي بالصبر؛ ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾، ومستوى الصبر ومواطنه، يحمل ويكشف عن مستوى قدرات الشخصية وقوتها وحزمها، وحراك الصبر يحمل الماضي والحاضر والمستقبل..

المبحث الخامس

البيئة الداخلية والخارجية والتأهيل النفسي وبناء الشخصية

وبعد أن استعرضنا بشكل محدد ومختصر لمضامين محاور البحث النفسية، ولتكاملها، يتطلب استعراض جانب مهم وفاعل وحساس، ألا وهما البيئة الداخلية والبيئة الخارجية..

وللبيئة الداخلية والبيئة الخارجية والسمات الفطرية، أهمية كبيرة في بلورة وتأهيل النفس وبناء الشخصية، ورفدها بقوة أصالة الحكمة والمعرفة والعلم والكلمة والمعلومة..

والبيئة الداخلية والخارجية؛ يشكلان قوى من المؤثرات الحيوية المهمة، بما تحمله البيئة من محددات وعوامل وظروف وضغوط تؤثر على الشخصية، وبنائها، وما يحددان من صياغة الأهداف والغايات

وسبل تنفيذ الخطط..

وقد اهتم علم النفس البيئي؛ بالبيئة بشكل عام، والبيئة النفسية Psychological Environment بشكل خاص، بما فيها المكان والزمان والموقف والتنبيه، وما يترتب عليه من نشاط وشعور وسلوك، وحراك التحفيز والدوافع والاستجابة لمختلف أطر الحياة، ولذا يتوجب [٢٥]:

تشخيص وتحليل مكونات البيئة الداخلية بقوتها وضعفها، لاستثمار القوة وتفعيلها وحمايتها وتعزيزها ورفع مستوى جودتها وتواصلها وانسيابية العمليات..

ودراسة الضعف ومواطنه، ووضع كل الحلول وآليات الوقاية والعلاج، وهي بدورها، إن تم نجاح احتواء الضعف، والحيلولة بتواصل دون التفاقم مواطن الضعف، وبنتائجه تحقق تعاظم أو على أقل تقدير حماية القوة وإضافة وتحديث وإعادة هندسة مقومات إيجابيات مراكز القوة..

وعموماً يمكن القول بأنّ البيئة الداخلية يمكن السيطرة عليها، وحمايتها والتحكم والتغيير في مكوناتها ورفد دعاماتها..

- تشخيص وتحليل مكونات البيئة الخارجية بفرصها، وكيفية استثمارها، وذلك بتقديم ما يلبّي متطلباتها وتطابقها للوصول إلى الأهداف والغايات..

والكشف عن بؤرة المخاطر والتهديدات والتحديات للشخص الحقيقي المتمثل بالأفراد، والشخص المعنوي المتمثل بالمشاريع والمؤسسات، لدرئها أو علاجها أو الوقاية منها بكل السبل..

وعموماً يتعذر أو من الصعوبة السيطرة على مكونات البيئة الخارجية، لكونها خارج نطاق التحكم والسيطرة..

ومن بين ما تتضمنه الآية الكريمة من دلالات؛ الحاجة وما تتطلبه من إشباع، وظهور المنبِّه أمام شخص موسى عليه السلام وما تطلب من الاستجابة: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا

(٢٥) راجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك/ الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة/ المرجع نفسه.

﴿بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾..

وذلك للتشخيص والعلاج البنائي بتحديد الأهداف، ابتداءً من الشخصية التي تحمل هذه الرسالة، وخصوصاً إذا كانت الرسالة السماوية الإنسانية وما تحمله من استيعاباتها اللا متناهية..

وتظهر في الآية المباركة شخصية موسى عليه السلام وما يتعلق به بصفة:

- البيئة الداخلية الأسرية..
- والبيئة الخارجية المحيطة بالأسرة..
- وما يظهر المنبه (النار) فيها..
- وما يرمز للفرص المواتية..

التي تتركز عند؛ ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، والاستجابة الممثلة لمحاولة استثمار الفرص بالسعي على وفق تصور ورأى وأهداف وغايات..

وأيضاً تتضمن الآية المباركة؛ ما يهتم به علم النفس الاجتماعي، كما هو عليه الأبعاد النفسية –الاجتماعية للشخصية؛ والعوامل المؤثرة بالشخصية ومتطلبات قوتها، ومدى التأثير المُقنع وغير المقنع، والموقف الذي يجعل من الشخصية مقنعة وذات فاعلية بين المجتمع..

وحراك الموقف المتمثل في مضامين قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ﴾، وما يعني تكاملاً؛ أهمية المؤهلات والتأهيل النفسي لبناء الشخصية القيادية على أساس الاعتبارات المكانية والزمانية وما تحمله من خواص ومؤثرات خصوصية البيئة..

وتبعاً للتوجيه وجهة التوجيه ووحدة الأوامر والتكليف والأداء، والاستعدادات الكامنة والقدرات على العبء وتحمل المسؤولية..

يتبين بأنّ هناك مراعاة لمكونات نظام الاتصالات بكل مقوماتها الداعمة لبناء الشخصية المنتخبة لحمل الرسالة السماوية..

وهنا مما يتضمنه قوله تعالى:

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾..

وضوح البيئة الداخلية؛ وما تحمله من قوة وضعف، ورسالة وأهداف، وما يكمل البيئة الخارجية؛ وما تحمله من فرص ومخاطر وتهديدات وتحديات، ولها مضامين تم بيان جوانب منها في مبحث

سابق، وعلى وفق ما تطلبه البحث..

لكن أخطر ما في السلوك، حينما تصل الجماعة إلى انغلاقها وانقيادها إلى الموجِّه الفكري المنحرف والإصرار عليه والتفاني من أجله، وعدم فسح المجال للانفتاح على البيئة الخارجية بشكل مسؤول واستراتيجي، وما يتوجب من إعطاء فرصة للعقل، ومنه سماع لغة العقل والمحاورة وتلاقح الأفكار، وما يتحتم من الانصات للفكر التقويمي..

وهو مما يؤهل ظهور بؤرة أو فجوة، تسبب ضعف مكونات البيئة الداخلية، وتسهم في تراجعها المادي وغير المادي والنفسي..

وهو جانب مما تكشفه الآيات المباركات؛ ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴾

وخطورة ما تمر به الحضارة، حينما تتراجع لمرحلة اللا عقلانية، كما هو عليه العودة للطوطمية Totemism التي تعني مرحلة أولى من مراحل الديانات البدائية، وربما كانت مرحلة عامة من المراحل التي مرت بها المجتمعات على اختلافها[٢٦]..

وهو ما نراه واضحاً فيما أشارت إليه الآيات المباركات، وما وصل إليه التراجع الفكري الجمعي، وتراجع مكونات بناء الشخصية وتأهيلها النفسي، حينما وصل بهم الأمر، بحسب ما تكشفه الآية المباركة ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾..

وعند آية لاحقه في السورة المباركة، نرى الاستفهام يتركز على الشخصية القيادية المحركة للموقف وقدراتها في الإقناع والتأثير فيهم، وما أحدثته من تغيير سلبي في الوسط المجتمعي، وما اخترقت هذه الشخصية للفكر والنفس الجمعية، بإتباع أسلوب يهز مكونات الفكر الجمعي

(٢٦) نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين/ معجم العلوم الاجتماعية/ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب/ مصر/ ١٩٧٥/ ص٣٧٣-٣٧٤.

ويخترقه من فجوة الجهل..

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ﴾، وتحمل كلمة الخطب دلالاتها النفسية، لِما تحمله من الإنكار على الموقف والسلوك والنتائج، وتعظيم ما أحدثته من السلوك والفعل السلبي..

وفي الآية الكريمة؛ وسوّلت لي نفسي؛ أي زينته لي نفسي الأمارة بالسوء، هذا قول السامري، بعد أن كانت له البصيرة في كشف المعجزة أو الكرامة، واستغلالها بتوجيه ما يحمله من فكر منحرف وأهداف ذاتية، وهو ما كشفت عنه إجابة السامري التي أظهرتها الآية المباركة؛ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾..

﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾، أي النفس الأمارة بالسوء، زيّنت له عمله المنكر والخطر على مستقبل الأمة أو المجتمع، ليستخدمها للوصول إلى مآربه في استعباد النفس الجماعية المربكة الفاقدة لأبسط البُنى الفكرية التي تحول بينهم وبين المحرِّك للسلوك، وإلاّ ما كان منهم هذه الاستجابة التاركة لأبسط بصيرة..

وبطبيعة الحال، يمثل مدى الضعف في مكونات البيئة الداخلية، ولاسيما الفكرية-النفسية والتربوية، والمستوى الذي كان عليه التأهيل النفسي وبناء الشخصية كفرد وكجماعة..

وهو ما نراه بين جهلاء كل عصر من غوغاء الناس، الذين يقول فيهم أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

(هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وقيل: بل قال عليه السلام: هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فقيل: قد عرفنا مضرة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟. فقال عليه السلام: يَرْجِعُ أَصْحَابُ المِهَنِ إِلى مِهْنَتِهِمْ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِم، كَرُجُوعِ البَنَّاءِ إِلى بِنَائِهِ، وَالنَّسَّاجِ إِلى مَنْسَجِهِ، وَالخَبَّازِ إِلى مَخْبَزِهِ)[٢٧].

من المراجع

أولاً: الكتب العربية:

١. د. أحمد عزّت راجح/ أُصول علم النفس/ دار القلم/ بيروت/ لبنان.

(٢٧) نهج البلاغة/ ص ٥٠٤.

٢. د. أسعد رزوق/ موسوعة علم النفس/ مطابع الشروق/ بيروت/ لبنان/ ١٩٧٧.
٣. د. بدر الدين عامود/ علم النفس في القرن العشرين/ ج١/ من منشورات اتحاد الكتاب العرب/ دمشق-سوريا/ ٢٠٠١.
٤. عبد القاهر الجرجاني/ أسرار البلاغة/ تحقيق هـ. رتير/ دار المسيرة/ بيروت/ لبنان/ ط٣/ ١٩٨٣.
٥. د. عبد المنعم الحفني/ موسوعة علم النفس والتحليل النفسي/ ج٢/ دار العودة/ بيروت/ لبنان/ ١٩٧٨.
٦. د. فاخر عاقل/ علم النفس التربوي/ دار العلم الملايين/ بيروت/ لبنان/ ط٦/ ١٩٨٠.
٧. د. فاخر عاقل/ معجم علم النفس/ دار العلم للملايين/ بيروت -لبنان/ ١٩٧٧.
٨. د. قيس النوري/ الحضارة والشخصية/ دار الكتب للطباعة والنشر-جامعة الموصل/ الموصل - العراق/ ١٩٨١.
٩. د. محمد علي محمد/ علم اجتماع التنظيم/ دار المعرفة الجامعية/ الإسكندرية/ مصر/ ١٩٨٩.
١٠. د. مجيد عبد الحميد ناجي/ الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع/ ط١/ ١٩٨٤.
١١. د. هاشم حسين ناصر المحنك/ علم الاقتصاد في نهج البلاغة/ ط١/ دار أنباء للطباعة والنشر/ النجف الأشرف/ العراق.
١٢. د. هاشم حسين ناصر المحنك/ موسوعة العلوم الإدارية والاجتماعية والأعمال التجارية/ مكتبة لبنان ناشرون/ ط١/ بيروت -لبنان/ ٢٠٠٧.

ثانياً: الكتب المترجمة:

١. جي. ف. دونسيل/ علم النفس الفلسفي/ ترجمة سعيد أحمد الحكيم/ ط١/ دار الشؤون الثقافيّة/ بغداد/ العراق/ ١٩٨٦.
٢. هربرت بنسن/ العقل والجسم/ ترجمة محمد جابر علي/ دار الحريّة للطباعة/

بغداد/ العراق/ ١٩٨٩.

٣. وليم و. لامبرت، وولاس أ. لامبرت/ علم النفس الاجتماعي/ ترجمة د. سلمى الملا/ دار الشروق/ بيروت – لبنان/ ١٩٩٣.

٤. و. م. أونيل/ بدايات علم النفس الحديث/ ترجمة د. شاكر عبد الحميد/ دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ العراق/ ١٩٨٧.

ثالثاً: البحوث:

١. د. هاشم حسين ناصر المحنك/ هندسة وإعادة هندسة المجتمع بين نهج البلاغة والفكر المعاصر/ شارك في المؤتمر العلمي لمهرجان الغدير العالمي الأول الذي أقامته الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة، بتاريخ ٥ –٩/ ١١/ ٢٠١٢م.

٢. د. هاشم حسين ناصر المحنك/ إستراتيجية الدراسات العليا في الجامعات العراقية/ بحث مقدم للمؤتمر الوطني لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في عام ٢٠٠٩–٢٠١٠/ ومقبول للنشر في مجلة مؤسسة دار الحكمة الكندية..

رابعاً: الكتب الأجنبيّة:

1. Carroll، Stefhen J. & Tosi، Henry L. «Management By Objectives Applications And Research» The Macmillan Co.، Nowyork، 1973.
2. Hampton، Devid R.، «Contemporary Management» 2ed، McGraw –Hill، Inc.، Tokyo، Japan، 1981.
3. Luthans، Fred، «Organizational Behavior» 3ed، McGraw –Hill Inc.، Tokyo Japan.
4. Schultz، D. A. «History Of Psychology» Academic Press، New York، 1975.